اللغة العربية ووسائل الإعلام
أترجمة أم عدوى لغوية ؟

للدكتور ابراهيم السامرائى

لعل القارىء ستأخذه طيرة من العجب أن أستعير كلمة «العدوى» من بيئة الأعراض والأدواء فأجتلبها اجتلاباً إلى حيز واضح فى علم « اللسانيات» . غير أنى قد استجزت لنفسى هذه الكلمة فتوسعت فى دلالتها توسعاً لا يحمل الضيم عليها ولا يفسدها على نحو ما يعرض للكثير من الكلم فى هذه الأيام بحجة التطور وبذريعة أن العصر يفرض علينا من الجديد أفانين شتى .

أريد بـ « العدوى » ما ألحقته الترجمة بالعربية من « ضير » ، فقد حفلت العربية المعاصرة بأنماط كثيرة من « الصياغة » « Tournure » ومن غيرها مما يدخل فى أساليب التعبير[1] . ولقد كنت قد أشرت إلى ذلك فى موضوع أعددته لمؤتمر المستشرقين العالمى الذى انعقد فى باريس (تموز ١٩٧٣) .

والموضوع مهم يتصل بالعربية وسلامتها كما يتصل بعلم « اللسانيات » من حيث أن أنماطاً لغوية خاصة بلغة غربية فرنسية ثم إنكليزية قد وجدت السبيل إلى هذه العربية فبدت عربية جديدة وسمت بسمات من «التغريب »

---

(١) قد يخطر فى أذهان الدارسين مايقابل هذه المواد المستعارة فى اللغات الغربية (أخص منها الفرنسية والانكليزية) وهو ماتفرضه العربية هذه اللغات من الكلم والمصطلح والأساليب . وهذا موضوع تاريخى كتب فيه الغربيون فأشاروا إلى الدخيل العربى فى الفرنسية والانجليزية والأسبانية وغيرها من اللغات وصنفت فى ذلك مصنفات معروفة . وقد تجاوز الأمر هذا الدخيل فكان نمطا جديدا من الفرنسية التى يحررها العرب من التونسيين والجزائريين والمغاربة . وهذه من الأنماط الظاهرة التى وقف عليها علماء اللغة واللسانيات من الفرنسيين .

انظر مقال الآنسة زهرة رباحى بالفرنسية والمرسوم به اللغة الفرنسية كما تتكلمها « الإطارات التونسية » (فى المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية عدد ١٣ مارس ١٩٦٨ ص ١ — ٢٤). وقد آثرت أن أثبت كلمة « الإطارات » لأشير إلى أن التوانسة وغيرهم من الإفريقيين قد استعاروا كلمة (cadre) : الفرنسية واستعملوها مجازاً استعمال الفرنسية لها على غير الحقيقة .

ومن غير شك أن الإنكليزية المستعملة لدى غير الإنجليز قد عرض لها من الجديد والدخيل ما أحالها إلى إنكليزية أخرى .

(بالغين المعجمة) ولا أقول « التعريب » فقد اتجه هذا المصطلح الأخير وجهة جديدة تختلف كل الاختلاف عن « التعريب » الذى عرفته العربية فى عصور سلفت . إن «التعريب» فى اصطلاح أهل عصرنا هذا يعنى الترجمة والنقل من لغة إلى أخرى .

وإذا كنا نترجم عن اللغات الغربية ولا سيما الإنكليزية والفرنسية فمن المعلوم أن طائفة كبيرة من هؤلاء المترجمين النقلة يحدثون جديداً غريباً يضاف إلى العربية الجديدة . وليس من حرج على أن أستعير عبارة أهل العلوم فى عصرنا فأقول : إن كيان العربية لايقبل فى أغلب الأحايين هذا الجسم الغريب الذى أريد له أن يزرع فيه فيجد له مكاناً . لقد شاه هذا الجسم وساء مغرساً ولكننا قد ألفنا هذه اللغة بِعِجَرِها وبُجَرِها كما قيل :

لا أريد أن أحجر على المعربين فأذهب إلى شىء من « قل ولا تقل » وذلك لأنى موقن أن العربية واسعة وأن كثيراً مما أشير إليه أنه ليس من كلام العرب كان من كلامهم بل من كلام الصفوة أهل الفصاحة واللسن . وهل فى طوقنا أن نذهب إلى القول إن العرب لم تقل كذا وكذا ونحن لم نملك الكثير من كلام العرب ؟ وأن القليل الذى بين أيدينا لم نحط به علماً ؟ وإنى لأذكر أحداً من هؤلاء الذين ذهبوا هذا المذهب من إخواننا المصريين قال : إن كلمة « بعض » تدل على الجماعة وليس على « الواحد » وهو يرد بذلك على الأستاذ الدكتور مصطفى جواد — رحمه الله — ، أقول : لقد فات هذا الأستاذ الفاضل أن كلمة « بعض» تدل على الجماعة وعلى الواحد وهى كذلك فى لغة التنزيل فى آيات عدة . فإذا كنا لم نحط إحاطة كافية بأشهر كتاب من كتب العربية الجليلة وهو كتاب الله — جل وعلا — فكيف يتأتى لنا أن نقول هذه المقولة : فنذهب إلى أن العرب لم تقل كذا وكذا ؟

أعود فأثبت أنى لا أومن بهذا المنهج ، وأن هذه « المعيارية » شىء عرفه المتقدمون وقالوا به ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه ؛ فقد تجاوزتهم اللغة إلى أشياء كثيرة .

ألم يكن الكثير من مسألة « عمود الشعر » والخروج عليه شيئاً يقدح بهذه المعيارية الخيالية ؟

ولابد من عودة إلى « الترجمة وآفاتها » لأشير إلى أن المتقدمين أحسوا بعسرها ، وأنها مشكلة ليس لنا أن نصل فيها إلى سمت المحجة وقصد السبيل كما يقول الجاحظ . لقد فطن الجاحظ إلى أن الترجمة مطلب عسير وأن ليس فى طوق المترجم أن يأتى بالعلم لما يمكن أن تنال لغة من لغة أخرى ، فقال فى صفة هذا المترجم :

« ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما ، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى ، وتأخذ

منها ، وتعترض عليها ، وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعتين فيه كتمكنه إذا انفرد بالواحدة وإنما له قوة واحدة ، فإن تكلم بلغة واحدة استفرغت تلك القوة عليهما »[1] .

. وهذا يعنى أن الترجمة عمل صعب ، وأن صاحب الترجمة لابد أن يكون ذا علم واف باللغتين وإلى هذا أشار الجاحظ فقال فى صفة المترجم : « أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية »[2] .

وهذا النمط من التراجمة فريد لا نعرفه إلا فى فئة قليلة من أهل العلم . ولعل الجاحظ كان يقصد إلى هؤلاء فى كلامه على القصاص حين قال :

« ومن القصاص موسى بن سيّار الأسوارى ، وكان من أعاجيب الزمان ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به ، فتقعد العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلايدرى بأى لسان هو أبين . واللغتان إذا التقتا فى اللسان الواحد أدخل كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها إلا ماذكرنا[3] ».

ولقد أشار ابن خلدون فى «المقدمة»[4] إلى معايب الترجمة وماتؤول إليه ، وإنها تؤدى إلى شيء غير مقبول فى اللغة فقال : « لأن البعد عن اللسان إنما هو مخالطة العجمة فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلى أبعد » .

وامتحن المحدثون بأمر الترجمة امتحاناً شاقاً حتى ذهب أهل العلم والنصفة من الإيطاليين إلى القول : « إن المترجم خائن » (Traduttor traditore) . وما أظن هؤلاء ذهبوا إلى هذا التماساً للسجع والمشاكلة على نحو ماقيل عن الصاحب بن عباد أنه خاطب قاضياً بمدينة « قم » فبدأ الكلام بقوله : « أيها القاضى بقم فلم يجد مايتم به هـذا الخطاب إلا بقـوله : « قد عزلناك فقم » .

أقول : لم يكن شيء من هذا دفع أهل الفصاحة من الإيطاليين أن يذهبوا إلى أن « المترجم خائن » والترجمة خيانـة ؛ ولكنهم خبروا من أمرها عسراً أدركوا أن النقل يجور على اللغتين أيما جور .

---

(١) الجاحظ : الحيوان ١ — ٧٦

(٢) المصدر السابق .

(٣) الجاحظ : البيان ١ — ٣٦٨

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٨

ومن المفيد أن أشير إلى شيء مما نال العربية من هذه الأساليب المترجمة التى تفتقر إلى الفصاحة . لقد أخذ الناس يقرؤون فى المجلات والصحف مثلا: « إن الشاذلى أحد أكبر العسكريين العرب[1] . . . . . »

ألا ترى أن هذا الأسلوب فى إضافة « أحد » إلى « أكبر العسكريين » أسلوب لاتعرفه العربية؟ وهو من باب إضافة «الواحد» إلى « الواحد »وذلك لأن « أكبر العسكريين» واحد فى الأصل إلا أن يكون فى التعبير مايشير إلى غلبة المضاف إليه وهو « العسكريين ». إن هذا لتأثر بأسلوب مترجم هو : . . . one of the bigger

ولو أدرك الكاتب أن فى العربية مايغنيه عن هذه الرطانة لاهتدى إلى أن الأداة «من» الجارة تفيد التبعيض فكان عليه أن يقول :

« إن العقيد الشاذلى من أكبر العسكريين »

وأعيد لأذكّر أن هذا ليس من باب « قل ولاتقل » ولامن باب « التحجير » فاللغة واسعة ولكن ذلك يشير إلى التداخل اللغوى الذى جاءت به الترجمة فأساءت إلى بناء اللغة وكيانها ثم إنى لأذهب إلى أن التصحيح تفرضه علينا معايير جمالية مما ندعوه بالمصطلح المعرَّب « الاستطيقا » الذى أشار إليه النقدة والفلاسفة المتقدمون[2]

ألا ترى أن استعمال «من» الجارة هو أرشق عبارة وأخف لفظاً وأهدى سبيلاً ؟

وإذا جئنا إلى اللفظ الجديد فى دلالته لرأينا نماذج جاء بها المترجم جاهلا لمعنى الكلمة الأجنبية أم غيرجاهل . ومن هذه قولهم : « المعطيات »[3] .

ولعلى بحاجة أن أتوسع فى الكلام على هذا الجديد الذى لم يستقر المعربون على دلالته استقراراً يوحى أنه مادة عربية . إن « المعطيات » جمع مؤنث للمفرد « معطى » وهو اسم المفعول من « أعطى » الرباعى . وقد جمعه المترجم الناقل لأنه قد خُيِّل إليه أنه يؤدى الكلمة الفرنسية (Les données) وصيغة الكلمة الفرنسية اسم مفعول مؤنث مجموع ، فكان المترجم على حق فى أخذ المقابل العربى اسما مفعولا مؤنثا مجموعاً . وهكذا نشأت كلمة جديدة شاعت شيوعاً عجيبا فى كتابات أهل هذا العصر من يعرف منهم اللغة الفرنسية ومن يجهلها .

قد تقول : وهل من بأس أو ضير فى هذا الجديد الوافد ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن الكلمة الجديدة يستعملها جمهرة من الناس ولايدركون دلالتها وقد تسأل أحدهم عنها فيجيب «إنها أفكار»، وهل تكون

---

(١) مجلة الوطن العربى (السنة الثانية ، العدد ١٠٠ ص ١٣)
(٢) انظر كتاب الألفاظ للفارابى (ط . الكاثوليكية) .
(٣) فقه اللغة المقارن إبراهيم السامرائى (بحث تعابير أوربية فى العربية) .

«الأفكار» فى عموميتها « معطيات » ؟ ويجيب آخر فيذهب إلى أنها « إيحاءات » أو « مقترحات » أو أشياء أخرى .

والكلمة الفرنسية فى « المعجم الفرنسى » وفى استعمال الكتاب من أهل الاختصاصات وغيرهم تعنى « النقاط التى لاتناقش ولايتنازع فيها » فهل ترانا بلغنا المراد فى « المعطيات » ؟ .

وقد أدرك اللغويون المحدثون هذه الناحية فكتبوا فيها مصنفات أشاروا فيها إلى الصعاب التى تعترض سبيل المترجم وماينتج عن هذه المهمة من الدخيل والمسخ والنسخ والتحريف والترجمة الحرفية وآفات أخرى .

ومن هؤلاء اللغويين الذين شغلوا بمسألة « تداخل اللغات » العالم اللغوى « يورييل فاينرايش » (Uriel Weinreich) ، فقد صنف كتاباً فى الموضوع نفسه وسمه بـ« اتصال اللغات » (Languages in Contact) [1] وقد نبه هذا العالم إلى ملاحظة مايعرض لأية لغة من معايب حين ينقل إليها شىء من لغة أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن من يضطر إلى أن يعرب بلغة غير لغته الأصيلة وهو لايجيد اللغة الأخرى إجادته للغته ، أوقل إنه لايعرب باللغة المكتسبة إعرابه بلغته الأولى إن هذا النفر من غير شك ليضيف إلى اللغة الأجنبية التى يحمل عليها إضافات غير محمودة تنال من جوهرها فضلا عن بهائها وجمالها . ومن هنا نشأت إنكليزية المستعمرات أو ماوراء البحار كما نشأت فرنسية إفريقية أو فرنسية أخرى . ومثل هذا يعرض للغات كافة فليس بدعاً أن تكون لناعربية جديدة فيها مما يتصل بالنحو وبناء الجملة وما يتصل بالصرف والأبنية ثم مايتصل بالأصوات والدلالة شىء جديد قد يكون عجبا فى بعض الأحايين .

ولقد أشار إلى التحريف والعيوب التى تلحق أسلوب المترجم وهو ينقل إلى لغة أخرى المسيو « جان بول ڤينى » (Jean Paul Vinay) فى بحث له ضمه كتاب يشتمل على بحوث أخرى[2] . وقد جاء بشواهد عدة تشير إلى ما عرض للمترجم من صعاب جنبته سواء السبيل .

ومن المفيد أن أشير إلى شاهد اقتطعته من دراسة فى الترجمة[3] للسيد صالح الفرماوى التونسى وهو يشير إلى الفرنسية التونسية وتأثرها فى العربية نقلا وترجمة .

---

(١) من منشورات الحلقة اللغوية لمدينة نيويورك (Languistic circle of New york) (وطبع طبعة زيد فيها فى مدينة لاهاى سنة ١٩٦٢

(٢) ورسم الكتاب بـ (Le Langage) فى سلسلة دائرة معارف بلياد (Encyclopédie de Pléide)

(٣) من بحث للأستاذ صالح الفرماوى موسوم بـ « الترجمة من حيث عامل هام من عوامل العدوى اللغوية»

يقول الفرنسى : (Je n'ai plus faim)
يعرفها العربى فى الشمالى الإفريقى والعربى فى المشرق فيتأثر بها وهو يدرج فى كلامه الشفوى أو قل : وهو يكتب فيقول :
« لم يعد عندى جوع » .

وهذه ترجمة حرفية ، ولو قال : شـبعت لكان أوفى لعربيته . ومن المعلوم أن للشعوب طرائق خاصة فى الإعراب عن المعانى والأعراض فقد يكتفى الشرقى المسلم فى هذه الحالة بقوله : الحمد لله ، بعد الانتهاء من تنـاول الطعام ؛ كناية عن اكتفائه وشبعه .

غير أن قول القائل : لم يعد عندى جوع تشبه . ما نسمعه فى ديار المشرق العربى من قولهم : « عندى جوع » وهذا نظير قول التونسى : لم يعد عندى جوع وهو فرق مابين الإثبات والنفى . ولا أشك فى أن تكـون هـذه العبـارة المشرقية قد جاءتنا ترجمة حرفية لاستعمال إنكليزى ثم فرنسى .

ومن المفيد أن آخذ شيئاً من تجربة تونسية أشار إليها الأستاذ صالح القرمادى فى البحث الذى نوهنا به قبل قليل .

جاء فى البحث المشار إليه : « ومثل ذلك يقال فى المثالين التاليين وقد اخترناهما من نصوص قمنا بترجمتها شخصياً :

١ ــ النص الفرنسى :
(Je Préfère la montagne à la mer).
الترجمات العربية :

١ ــ أفضل الجبل على البحر . وهى ترجمة حرفية .

٢ ــ الجبل عندى أفضل من البحر . وهو تحوير أو تكييف .

٣ ــ وللجبل خير لى من البحر وأبقى . وهو تعديل منسوج على منوال الأسلوب القرآنى .

٢ ــ النص الفرنسى[1] :
(Le gros rouge qui détache).

الترجمات العربية :

١ ــ الأحمر الغليظ الذى يفصل . وهو ترجمة حرفية سمجة .

٢ ــ الخمر الحمراء المبتذلة التى لاتبقّع الثياب بل يبقع رأس صاحبها إلى حيث

---

(١) قارن بين مختلف كيفيات أداء نفس المعنى وهو الصراع فى اللغات الآتية :
مثلا فى العربية الفصيحة : برأسى ألم . وفى العربية التونسية : رأسى يوجع فى .
وفى الفرنسية : (J'ai mal à la tête) . وفى الانكليزية : (Ihave a headache)
وفى الأسبانية : (me duele la Cabeza) . وفى الروسية : (Golova mnie bobit)

لاندرى وهذه ترجمة فيها شيء من التكلف والإفراط فى التحليل لا محالة . إلا أنها تدل على توفق المترجم مبدئياً إلى العثور على مرادف غربى للتورية الفرنسية الموحى بها فى عبارة (detache) المقلوب عن (tache) ، وهذا المرادف هو بقّع وأبقّعُ .

ولئن كانت هذه الإمكانيات المتعددة فى نوع درجات الترجمة من لغة إلى أخرى ناتجة عن اختلاف الثقافات فى العالم فإن مرّدها الأساسى من حيث علم الألسنة إلى أن كل لغة يصنف أصحابها التجربة البشرية تصنيفاً خاصاً ، كما ذهب إلى ذلك العالم الألسنى الفرنسى « اندرى مارتينى » (André Martinet).(١)

وقد تأثرت اللغة الإعلامية الممثلة بالإعلان المذاع ، ومايكتب فى اللوحات أو قطع القماش أو فى الجدران مما يراد به الإعلان والدعوة لشيء من الأشياء .

ومن هذا ماسمعت من إحدى الإذاعات العربية أن المذيع يتلو جملة هى :

« آخر صيحة فى عالم الساعات » وهو يقابل فى عبارته ما تذيعه الإذاعة نفسها فى اللغة الفرنسية وهى :

(Dernier cri dans le mondé des montres)

وإذا عرفا أن هذه اللغة الحديدة تجاوزت حدودها فليست هى مقصورة على اللغة السائرة الدارجة مما يدخل فى الإعلان والتجارة والخبر السياسى والفائدة الاقتصادية ، إنما وجدت سبيلها إلى لغة الجد فى المادة الأدبية وسائر ألوان النشاط الفكرى . وحسبك أن تعلم أن عبارة :

الأكثرية الساحقة :

La majorité écrasante

قد وردت فى فتوى دينية لأحد العلماء والأعلام من المراجع الدينية . وهذا يعنى أن اللغة المترجمة مما ندعوه بـ « المولد الجديد » قد شاع شيوعاً تاماً حتى خيل لكثير من الناس أنه مادة عربية . ومن أجل ذلك استعمله هؤلاء المفكرون الكبار من غير أن يشعروا أنه مولد جديد لا تعرفه العربية الفصيحة . ولم يتساءل هؤلاء كيف توصف « الأكثرية » بـ « الساحقة » ؟ ومن أولئك الذين تسحقهم الأكثرية ؟ وأكبر الظن أن هؤلاء لم يخطر فى أذهانهم أن العبارة اجتلبت من بلد يحكمه نظام يقوم على المجلس النيابى الذى تكون فيه « أكثرية » « وأقلية » .

ومن المفيد أن أقف على هذه الأبنية المختومة بياء النسبة مع تاء التأنيث . لقد وجدوا أن الكلمة الأجنبية مؤنثة (Majorité) فكيف يكون المقابل العربى مساوياً فى التأنيث للكلمة الأعجمية ، فلم يكن منهم إلا أن يفزعوا إلى هذه الصيغة المنسوبة المؤنثة .

(١) بحث الاستاذ صالح القرمادى الذى أشرنا إليه . وهو غير منشور ولكنه أعد ليلقى بندوة علمية .

وقد شاعت فى الحقبة الأخيرة ألفاظ منسوبة ثقيلة مثل المدة « الأصغرية » والاتفاقية « التصفوية » و « البرامج التنموية » والاتفاقية « النووية » .

وشيوع هذه الألفاظ المنسوبة دليل على غياب الشعور بالفصاحة والقرب من العجمة ذلك أن هؤلاء المعربين لم يشعروا أن أسلوب الإضافة يؤدى ما تؤديه هذه النعوت المنسوبة الثقيلة . ألا ترى أن قولنا : اتفاقية التسوية أو التصفية ، وبرامج التنمية أخف لفظاً وأرشق عبارة من الاتفاقية النووية أو التصفوية ..

لقد اضطر المعربون فى مطلع هذا القرن إلى أن يستعملوا هذا الأسلوب فى قولهم : الأنظمة التربوية وعلم النفس التربوى .

ولعل هذا قد كان بسبب من الترجمة الحرفية المقيتة . أما المدة « الأصغرية » فتلك طامة « كبرى » وهى إن دلت على شىء فإنما دلالتها عجمة مستحكمة ، فقد جهل الناطقون بالعربية أن الصفة « الصغرى » التى تترشح للتفضيل أحياناً تغنى عن هذه « الأصغرية» القبيحة .

ومن هذه الأساليب الجديدة قولهم فى العربية :

« لتغطية حاجاتنا » وهذا ليس من العربية فى شىء بل هو ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية

(Pour la couverture de nos besoins).

ولقد شاعت هذه « التغطية » حتى صارت شيئاً لابد أن تجد فى كثير مما يكتب فى الصحف .

يقال مثلا: « لقد كلف فلان بتغطية وقائع المؤتمر» ويريدون ضبط الوقائع والإخبار عنها ولو أن احداً كان قد سمع هذه العبارة قبل مايقرب من ربع قرن لفهم عكس ما يراد فهمه منها فى هذه الأيام . أن « تغطية » الشىء فى العربية تعنى حجبه وإخفاءه فكيف كان العكس فى لغة عصرنا هذا ؟ هذا ما لا نريده لهذه العربية مع إقرارنا بالحاجة إلى تطويرها وتطويعها لحاقاً بما عند الأمم الأخرى .

ولعل أقطار الشمالى الإفريقى قد عرفت من أمثلة هذه الرطانة شيئاً كثراً نلمحه فى أسماء المتاجر والمقاهى وغيرها من المحلات العامة . أنك تقرأ مثلا فى واجهة إحدى المقاهى فى مدينة الجزائر :

مقهى النهاية، وهو من غير شك ترجمة لاسم مقهى بالفرنسية هو :
(Café Terminus).

والاسم بالفرنسية يعنى «النهاية» أى نهاية الشارع أو نهاية الخط الذى ينتهى إليه القطار أو الحافلة .

غير أن ترجمة الكلمة الفرنسية (Terminus) إلى كلمة (النهاية) بالعربية ذات إيحاءات مفزعة لانحسها فى الكلمة الفرنسية .

وقد يتسمح غير المعنيين باللغة والكتابة الأدبية والعلمية من التجار والصناع وأصحاب المصالح العامة بالمادة اللغوية فيبيحون لأنفسهم ما لا يتقبله أهل الحد والعلم . ومن ذلك ما وجدته فى بحث الأستاذ جان بول فينى[1] (J.P. Vinay) الذى أشرنا إليه من أنه وجد فى « كندا » الفرنسية إعلاناً يدعو الناس إلى التوفير والادخار فيعبر عن « الادخار » بأنه :

(Passe Port pour une meilleur vie) .

وهو ترجمة للنص الانكليزى :

(Passport to better Living).

وقد يتجاوز هذا الدخيل مسألة الألفاظ والتعابير إلى الأصوات والأبنية وشيئاً من النحو كما سنتبين :

التداخل الصوتى :

من غير شك أن الأصوات العربية تفتقر إلى أصوات لانجدها فى عدتها كالأصوات اللاتينية : (V.P.G.) . ولقد امتحن المتقدمون بهذه المواد فاختاروا لها الفاء لـ (P) والواو (V) والغين لـ (G) ولكنهم لم يثبتوا على هذا المتعارف المشهور . وكان الحق أن يكون فى العربية القديمة التى وصلت إلينا فى مواد الشعر الجاهلى ولغة التنزيل العزيز والتى نخلت من هذه الأصوات ، هذه الأصوات المشار إليها ذلك أنها أصوات عرفتها اللغات السامية الأخرى . ومن غير شك أن اللهجات العربية القديمة قد عرفتها أيضا ولكن الفضيحة المشهورة قد تجاهلتها .

لا أريد أن أدخل فى علم الأصوات التاريخى للعربية ، ولكنى أستدرك فأقول إن العربية المعاصرة قد امتحنت بهذه الأصوات وهى تنقل الكلم الأعجمى أذكر أنى عرفت الشاعر الفرنسى (Victor Hugo) وأنا صغير قد تجاوزت مرحلة الدراسة الابتدائية فى كتابه الشهير « البؤساء » ، فعرفت أن هذا الشاعر الكبير قد عرفه قراء العربية الذين لا يعرفون الفرنسية بأسماء عدة هى :

« هيجو ، هيكو ، هوجو ، هوكو ، هوغو ، هيغو » ومن المعلوم أن ليس بين هذه الكلم شىء يفصح عن النطق الفرنسى . أما (Victor) فكان بالفاء . وليس « الفاء » نظير الصوت (V) وأهل الأصوات يعرفون هذه الحقيقة الأولية . وقد نتجاوز هذا القدر من الأصوات الساكنة هذه (Consonnes) إلى الأصوات الصائتة أو المصوتة ولا أقول « العلة »[2] ويدخل فى هذا ما ندعوه فى العربية بـ« الحركات ».

---

(١) المرجع المذكور آنفاً (سلسلة دائرة معارف بلياد) .

(٢) أقول : إن مصطلح العلة مصطلح لايفى بالحقائق العلمية للأصوات اللينة «أصوات المد مع الحركات» وذلك لأن هذا المصطلح لا يتكفل بحقيقة هذه الأصوات وطبيعتها ومادتها وصفاتها وكيف تحدث بل يشير إلى أن هذه الأصوات لاتثبت فيعرض لها الابدال وهذه « علة » فيها أى أنها لاتساوى الأصوات الأخرى التى نسبوا إليها الصحة والسلامة .

ولنأخذ مثالا على ذلك نطق العلم المشهور الفرنسي « الجنرال ديغول » نسمع العربي ولا سيما في الشمالي الأفريقي ينطق هذا العلم المشهور وهو يعقب صوت الدال (d) بـ (e) وهي حركة وسطية نصف منغلقة وبالصوت (g) وهو صوت في أقصى الحنك شديد مجهور فرنسي لانعرفه في العربية الفصيحة وإن كنا نباشره في اللهجات العامية الدارجة .

وقد يكون هذا محدوداً بالنطق فلا يتجاوز الأمر إلى إحداث شيء مما ندعوه بـ « الفونيم » في علم الأصوات .

ومن التداخل مايتصل بالأبنية الصرفية الجديدة .

لقد شاع في اللغة المعاصرة ضرب من التركيب الذي يؤلف أبنية مركبة غريبة ليست من النحت الذي عرفته العربية كقولهم :

« انكلوساسون » وهو من
(Anglo — Saxon)

« افرو آسيوي » وهو من
(Afro — asiatique)

« هندو — أوربي » وهو من
(Indo — européen)

« الصناعات البترو—كيماوية » وهو من
(Les Industries Pétro — Chimiques)

وكأن المعبرين في عصرنا يلجؤون هذه الأبنية تواد عربية ، ومن أجل ذلك عوملت معاملة الكلم المنحوت فأنت تجد ياء النسبة في آخرها كقولهم : الصناعات البترو-كيماوية . واللغات الهند وأوربية وهكذا . .

ولنعرض لشيء آخر يتصل بالبناء الجديد في الجملة العربية ، ومن ذلك ما شاع من استعمال الكاف التي لا يراد بها التشبيه كأن يقال :

« هو كأستاذ » والمراد : هو من حيث كونه أستاذاً . وهذا من الفرنسية :
(I est comme professeur)

وقد يكون من سوء فهم الدلالة الصحيحة أن تأتي الترجمة أبعد ما تكون عن الأصل . ومن أمثلة ذلك الفعل (Connaitre) تترجم غالباً بالفعل « عرف » ولكنه يعني « عانى » وقاسى و « كابد » في قولهم مثلا :
(M. Nixon a connu toutes les étapes de cette dégradatio).

وكانت الترجمة العربية : « لقد عرف السيد نكسون كل مراحل هذا الانحطاط ».

وليس من مكان للفعل « عرف » في الجملة الفرنسية ذلك أن الفعل الفرنسي (Connaître) يعني من بين معانيه الكثيرة (eprouver) أي عانى وقاسى وليس « عرف » فإذا ترجمنا الفعل الفرنسي بـ « عرف » لم نحظ بالمعنى المراد .

ومثل هذا ما قرأته منذ زمن ليس ببعيد : « أن مصر تعرف أزمة اقتصادية » والفعل

الفرد فى هذه الجملة هو (Connaitre) ولايعنى هذا « عرف » إنما يعنى « المعاناة » « والامتحان » .

مثال آخر[1] :

Après avoir resisté pied à pied aux requisitions,, qui Lui Parvenaient de la comission d'enquêt du Sénat et du Procureur spécial, épaississant le trouble autour de lui, il s'est declaré mercred,

الترجمة :

وبعد أن صمد تجاه الاستدعاءات التى توجهها إليه لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ والمدعى الخاص والتى تزيد فى شدة الحيرة والارتباك حوله أعلن يوم الأربعاء ...

قال الأستاذ صالح القرمادى :

« هنا ينبغى الإدلاء بعدة ملاحظات ، فمن الجدير أولا — وبالضد مما ذكرناه (كذا) من تداخل إلى حد الآن أن نلاحظ المجهود الذي قام به المترجم قصد اجتناب العدوى والتأثر بالفرنسية . ومن ذلك أنه قال : « لجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ .. » ولم يقل لجنة التحقيق لمجلس الشيوخ (باستعمال حرف اللام (ل) مرادفا للحرف (de) الفرنسى » .

هى التوصل إلى المعنى) بطريقة غير مباشرة .

واستعمل المترجم : « الحيرة والارتباك» مقابلا لـ (trouble) واستعمال لفظتين مترادفتين موزونتين ومن خصائص اللغة العربية الفصحى القديمة المرموقة (كذا) . كما يجدر بنا ثانياً أن نلاحظ ما جاء فى هذه الفقرة من تأثر تركيب الجملة العربية بتركيب الجملة الفرنسية من ذلك استعمال جملة فرعية زمانية تبتدىء بـ « بعد أن » قبل الجملة الأصلية التى تبتدىء بالفعل « أعلن » وذلك رغم طول تلك الجملة الزمانية وتشعبها لاحتوائها على جملتين فرعيتين ثانويتين موصولتين (كذا) (التى .... التى ....)

وهذا الترتيب إنما هو من خصائص الجملة الفرنسية فى الأسلوب الأدبى ؛ وأما العربية الفصحى القديمة فقد كان الترتيب العادى فيها باستثناء الجمل الزمانية المبدوءة بـ « لما » أن يعكس الإنسان فيأتى بالجملة الأصلية ثم بالجمل الفرعية » .

انتهى كلام السيد صالح القرمادى .

أقول : إن الجملة فى ترتيبها كما ظهرت مترجمة متأثرة من غير شك بالترتيب الفرنسى فى الجملة الفرنسية . غير أن واستعمل المترجم : « تزيد فى شدة » مقابلا لـ (épaissir) . (وهذه الترجمة كلام السيد القرمادى فى ترتيب الجملة

---

(١) المثال مأخوذ من بحث الأستاذ صالح القرمادى الذى أشرنا إليه .

العربية الفصيحة وكيف تأتى الجملة الأصلية مبدوءاً بها ثم تأتى الجمل الفرعية غير سديد؛ وذلك لأن الجملة العربية تبدأ بما هو المراد فحيث أريد تعيين الذات بدئ بالاسم ، فإن أريد تعيين الحدث بدئ بالفعل ، فإن احتيج بيان المكان أو الظرف أو الحال الخاصة بدئ بالظرف أو الجار والمجرور أو نحو هذا . قال تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » وقد يتجاوز التداخل اللغوى فيحمل الضميم على شيء من خصائص النحو القديم ، ومن أمثلة الفصل بين المتضايفين كقول غير العارفين بفصيح العربية :

« سكرتير عام لجنة التنسيق » وهو من (secrétaire général du comité de coordination)

كان الصحيح الفصيح أن يقال جرياً على سنن العربية : « سكرتير لجنة التنسيق العام » أو « السكرتير العام للجنة التنسيق » ؛ غير أن التأثر بالأسلوب الأجنبي جرّ المترجم إلى اتباع ما لا يجوز فى العربية :

ومثل هذا مسألة العطف على المضاف قبل المضاف إليه كأن يقال :

دراسة لغة وأدب العرب .....

وهذا يقابل فى الفرنسية :

Etude /de/ la /langue /et/ de /la littérature des Arabes

وكان الصحيح الفصيح أن يقال :

دراسة لغة العرب وأدبهم .

خاتمة :

هذه نماذج جد يسيرة كشفت عن أن العربية المعاصرة يتعاورها الدخيل والغريب حتى أحالها إلى شيء جديد . وهذه المظاهر تلقاها فى أنماط شتى من هذه اللغة فليست هى خاصة بـ « لغة الصحافة » بل تجاوزتها إلى لغة الصفوة من أهل الجد والعلم . ولا تعدم أن تجد فى لغة أهل الأدب والمعنيين بالعلوم اللغوية أشياء كثيرة منها .

وبعد أليس هذا هو « التغريب » ؟ بالغين المعجمة . لا « التعريب » ؟ وهل ترانا أسعد حظاً إن كنا نركن إلى «التعريب» ؟ وهذا التعريب ترجمة ونقل لأساليب غريبة بعضها شر لابد أن نطرحه جانباً ، وبعضه شر لابد منه ، وبين هذا وذاك منافع جمة لابد منها لحضارة معاصرة .

ابراهيم السامرائى
عضو المجمع المراسل من العراق